

التفصير المطول - سورة الأنعام 006 - الدرس(73-45): تفسير الآيات 114 – 115 ، العمل الصالح - والخبر الصادق  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 16-12-2005  
**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنها، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات .

أيها الإخوة الكرام، مع الدرس الخامس والأربعين من دروس سورة الأنعام، ومع الآية الرابعة عشرة بعد المئة ، وهي قوله تعالى :

**أَفَغَيْرُ اللَّهِ أَبْتَغِيْ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (114)**

سورة الأنعام

**أَفَغَيْرُ اللَّهِ أَبْتَغِيْ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا**

أيها الإخوة، أي إنسان كائناً من كان لا بد له من مرجع يرجع إليه، الحياة معقدة جداً، والأمور مشتبهة، ومقاييس الخير والشر مضطربة، وصراع بين المصالح والقيم، وبين الحاجات والمبادئ، فالإنسان التائه الشارد بحاجة إلى مرجع ، الله عز وجل يقول :

**(أَفَغَيْرُ اللَّهِ أَبْتَغِيْ حَكْمًا) الخالق المُسِيرُ، الْرَّبُّ، الْقَوِيُّ، الْعَلِيمُ، الْخَبِيرُ، الْمُحِبُّ، الرَّحِيمُ،**  
أيُعقل أن تتخذ مرجعاً غيره؟ أيُعقل أن تتخذ حكماً غيره؟ أيُعقل أن تُحکم إنساناً جاهلاً ضعيفاً منحازاً محدوداً في مصيرك؟ (أَفَغَيْرُ اللَّهِ أَبْتَغِيْ حَكْمًا )

أيها الإخوة : حينما قال الله عز وجل :

**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بُنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقُلْبٍ سَلِيمٍ (89)**

سورة الشعراء

القلب السليم هو القلب الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله، ولا يقبل خبراً يتناقض مع وحي الله، ولا يعبد غير الله، ولا يحتكم إلا لشرع الله .

إخواننا الكرام، الله عز وجل يقول :

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۝ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ صَلَالًا مُبِينًا(36)

سورة الأحزاب

هناك اجتماعات كثيرة، ولقاءات كثيرة، ومؤتمرات كثيرة، حين الحديث عن جدول الأعمال يقال:  
هذه الموضوعات ليست خاضعة للبحث، لأنها مسلم بها، وكل أمة عندها خطوط حمراء، وقضايا مسلم  
بها لا تخضع للبحث أبداً.

أقول لكم: المؤمن الصادق، والمؤمنة الصادقة فيما شرع الله، وفيما حكم الله، وفيما  
شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيما بين رسول الله  
صلى الله عليه وسلم، ليس له خيار أبداً، القضايا التي بت فيها الشرع ليست خاضعة للبحث (ومَا كَانَ  
لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) حال الناس اليوم كل  
واحد يرى نفسه مشرعاً، يقول لك: هذا الحكم لا يصلح لهذا الزمان، هو مشرع.  
يقولون هذا عندنا غير جائز فمن أنت حتى يكون لك عند

\* \* \*

ورحم الله عبداً عرف حده فوقف عنده .

### من علامات المؤمن عدم مناقشة حكم الله

من علامات إيمان المؤمن أنه لا يقبل مناقشة فيما شرع الله عز وجل (**أَفَعَيْرَ اللَّهُ أَبْتَغِي حَكْمًا**)  
المشكلة الآن أيها الإخوة ، أن كل شيء في الدين حتى المسلمات ، حتى الذي فيه آيات محكمات خاضع  
للبحث، تؤلف لجان، تعقد ندوات، تناقش قوانين نابعة من صلب القرآن، قوانين الأحوال الشخصية نابعة  
من الشرع الإسلامي، هي معرض للنقاش، ومحل للبحث، والأصح في هذا الموضوع أنها محل للنقد.  
فالذك أيها الإخوة، عالمة إيمانك أن الذي شرعه الله عز وجل مبدئياً غير قابل للبحث، لأنك مع  
طبيب يحمل شهادة عليا من بلد بعيد لا تتناشه أبداً، بل تستسلم له ، فكيف مع خالق السموات والأرض؟  
**يَأَيُّهَا الَّذِينَ ظَاهَرُوا لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدِيَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۝ وَأَتَقْوَا اللَّهَ ۝ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ(1)**

سورة الحجرات

لا تقدم اقتراحات، لا تقدم ا Unterstütـات، لا تقدم بدائل، لا تقدم قواعد، أنت عبد، إذا كان سيد الخلق،  
وحبيب الحق يقول :

وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا أَجْنَبَنَا هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَّبِّكُمْ  
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (203)

سورة الأعراف

هذا مقام العبودية ، أن تتبع ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام .

### أَفَغَيْرُ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا

أيها الإخوة، لعظم الموضوع ولخطورته، ولأنه قد يلغى إيمان المؤمن جاءت الصيغة استفهاماً إنكارياً: (أَفَغَيْرُ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا) معقول؟! شاب له أب كبير، كبير بعلمه، كبير بآدابه، كبير بتدبره، كبير برعايته، ولهذا الشاب صديق منحرف لا يتبع دراسته، يتبع رفقاء السوء، من ملهم إلى ملهم، أيعقل أن يتتخذ هذا الشاب هذا الصديق مرجعاً له ومستشاراً؟ وينسى أن أباه الذي أغدق عليه من الخيرات ما لا يحصى!

يعني قضية أن تتخذ من دون الله ولیاً، قضية أن تتخذ من دون الله حکماً، قضية أن تتخذ من دون الله مرجعاً، هذا يلغى إيمانك (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) لو تابعتم بعض الأخبار في أكثر الاجتماعات، والمفاوضات، واللقاءات، يقال: هذه القضايا تحتها خط أحمر، ليست خاضعة للبحث، وأنتم أيها المؤمنون لكم أن تدرسوها قضية في التجارة، في الصناعة، في السكنى، في الزواج، في الأشياء المباحة، أما في قضية بت فيها الشرع فمنع أن تفك في خيرية هذا الشيء أو عدم خيريته، لأنه كما يقول علماء العقيدة: الحسن ما حسنة الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع، لأنه من عند الخالق، وكلما نما إيمانك لا تحتاج إلى تعليل، علة أي أمر أنه أمر، وكلما اتضحت حكمة الأمر ضعفت العبودية فيه، وكلما خفيت حكمة الأمر ازدادت العبودية فيه. كذلك واضح وصارخ، أن إبراهيم عليه السلام أمر أن يذبح ابنه، هذا لا يندرج لا في القيم، ولا المقبولات، ولا في الأشياء المعقولة إطلاقاً:

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يُبَيِّنَ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُدْبِكُ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَأْبَتِ أَفْعُلُ مَا ثُوْمَرُ سَتَجْدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102)

سورة الصافات

قدم لنا الله نموذجاً من الاستسلام المطلق لله عز وجل، لكن الله ما ضيقه، امتحنه امتحاناً صعباً فجراً.

وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى (37)

سورة النجم

أيها الإخوة :

وَإِذْ أَبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعَلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)

سورة البقرة

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الدِّينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ (142)

سورة آل عمران

أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمْنًا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (1)

سورة العنكبوت

الحياة كلها امتحانات .

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَاءِتٌ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (30)

سورة المؤمنون

علة وجودك في الأرض الامتحان، الدليل :

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِبَلْوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2)

سورة الملك

نحن في حالة صعبة، الضلالات، والشبهات، والطروحات التي لا تقبل بين أيدي الناس جميعاً، ولا يعصمك من هذه الضلالات إلا أن تأوي إلى ركن ركين .

سيدنا علي يقول: " يا بنى ، الناس ثلث ، عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع ، أتباع كل ناعق ، لم يستضئوا بنور العلم ، ولم يلجموا إلى ركن وثيق " .

الناس عالم ومتعلم ، وما سوى ذلك ليسوا من بنى البشر. أيها الإخوة (أَفَعَيْرَ اللَّهُ أَبْتَغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ) هذا منهج .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلْمَتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَغْدِلُونَ (1)

سورة الأنعام

في كفة .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَوْجَانَ (1)

سورة الكهف

في كفة ثانية، الكون كله في كفة، وهذا الكتاب الذي بين أيدينا والذي :

لَا يَأْتِيهِ الْبُطَلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

سورة فصلت

في كفة ثانية، الله عز وجل خلق الأكوان، ونورها بالقرآن، معنا وحي السماء أيها الإخوة، فضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه .

أيها الإخوة (أَفَعَيْرَ اللَّهُ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا) معك منهج، معك كتاب بين لك سر وجودك وغاية وجودك، ومن أين؟ وإلى أين؟ ولماذا؟ معك كتاب فيه أسباب سلامتك، وأسباب سعادتك، وأسباب توقيفك، معك كتاب إن طبقته فهو :

إِنَّ هَذَا الْفُرْءَانَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَفْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّلِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا

(9)

سورة الإسراء

معك كتاب إذا طبقته لا تحزن، لا يحزن قارئ القرآن، معك كتاب بين الله فيه كل شيء، فيه خبر ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، لا تنقضي عجائبه .

وَالَّذِينَ عَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ

(أَفَعَيْرَ اللَّهُ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ عَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ) بربكم أيها الإخوة، أقوى معرفة على الإطلاق أن تعرف ابنك، هل هناك أب من ستة آلاف مليون إنسان يدخل إلى بيته ويقول لأحد أبنائه: ما اسمك ؟ مستحيل ! أسرع معرفة، وأوضح معرفة، والمعرفة التي لا تنسى أبداً أن يعرف الأب ابنه، ماذا قال الله عز وجل قال ؟ قال :  
الَّذِينَ عَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيُكْثُرُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146)

سورة البقرة

يعني أهل الكتاب يعرفون أن هذا الإنسان العظيم، النبي الكريم هو نبي مرسل (كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) فلم يؤمنوا به ؟ المصالح ، هذا المعنى دقيق جداً :

أَسْتَرَوْا بِأَيْتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (9)

سورة التوبية

هو له دنيا، له مكانة، له أتباع، لم يقبل أن يضحي بمكانته، ولا بأتبااعه فيما لو آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم، وغاب عنه أنه لو آمن برسول الله لرفع الله له ذكره، حينما قال الله عز وجل :  
أَلَمْ نَشْرُحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4)

سورة الشرح

ما من إنسان يخطب ود الله، ما من إنسان يضع نفسه بالتعتيم ليُظهر الحق إلا رفع الله له ذكره، لذلك كان بعضهم يقول: "أحب أن أكون ذنباً في الحق، ولا رأساً في الباطل" أنت حينما تضع نفسك في سبيل خدمة الحق يرفع الله لك ذكرك .

إخواننا الكرام، أنت بحاجة إلى الطعام والشراب للحفاظ على الفرد، على ذاتك، وبجاجة إلى الزواج للحفاظ على النوع، وأنت بحاجة إلى الذكر، إلى أن تكون مهماً ذا شأن، هذا سماه علماء النفس تأكيد الذات، أن تكون مهماً، وتأكيد الذات، وأن تكون ذا شأن، وأن يرفع الله لك ذكرك، في طاعة الله، هؤلاء الذين خضعوا للحق في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا معواناً له على نشر الحق، ووضعوا أنفسهم في الظل، ورفعوا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أين هم الآن ؟ في جنات :

**فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُفْتَدِرٍ (55)**

سورة القمر

الست إذا كنت معتمراً وقفـت أمام قبر النبي عليه الصلاة والسلام، ثم تحولـت عنه إلى قبر سيدنا الصديق رضي الله عنه، ثم تحـول عنه إلى قبر سيدنا عمر رضي الله عنه، هـكذا السنة، هـكذا آداب الزيارة، إذا هـؤلاء الذين نصـروا النبي صلى الله عليه وسلم رفعـوا الله ذـكرـهم، وهـؤلاء الذين ناصـبوـه العـداء في مـنزلـةـ التـارـيخـ، ما قـيمـةـ أبيـ جـهـلـ؟ هـؤلاءـ الـذـينـ نـاهـضـوـاـ الـحـقـ، وـصـدـقـوـاـ أـيـهـاـ الـإـخـوـةـ، إـنـ أـشـقـىـ إـنـسـانـ عـلـىـ وـجـهـ الـأـرـضـ هوـ الـذـيـ يـقـفـ فـيـ خـنـدـقـ مـعـادـ لـلـحـقـ، وـإـذـاـ قـالـ اللهـ عـزـ وـجـلـ :

**إِن تَشْوِبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَثْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (4)**

سورة التحرير

هـماـ حـفـصـةـ وـعـائـشـةـ: (فـإـنـ اللـهـ هـوـ مـوـلـاهـ وـجـبـرـيلـ وـصـالـحـ الـمـؤـمـنـيـنـ وـالـمـلـائـكـةـ بـعـدـ ذـلـكـ ظـهـيرـ) يا رب، كلـ هـذـاـ مـنـ أـجـلـ اـمـرـاتـينـ؟ قالـ عـلـمـاءـ التـفـسـيرـ: لاـ ، ليسـ مـنـ أـجـلـ اـمـرـاتـينـ، ولكنـ مـنـ أـجـلـ أنـ يـعـلـمـ كـلـ إـنـسـانـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ أـنـ إـذـاـ وـقـفـ فـيـ خـنـدـقـ مـعـادـ لـلـحـقـ يـجـبـ أـنـ يـعـلـمـ مـنـ هوـ الـطـرفـ الآـخـرـ.

أـنـتـ الـآنـ فـيـ الدـنـيـاـ قـدـ تـجـدـ إـنـسـانـاـ هـزـيـلاـ صـغـيرـاـ، لـكـنـهـ يـنـتـمـيـ إـلـىـ الدـوـلـةـ، تـخـافـ أـنـ تـعـتـدـيـ عـلـيـكـ ، لـمـاـذـاـ؟ لأنـ الدـوـلـةـ كـلـهاـ وـرـاءـهـ، أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟ لـاـ تـنـتـظـرـ إـلـيـهـ، اـنـظـرـ إـلـىـ مـنـ وـرـاءـهـ، فـلـذـكـ أـعـظـمـ النـاسـ مـنـ كـانـ جـنـديـاـ لـلـحـقـ، وـأـنـأـقـولـ لـكـمـ: لـاـ تـقـلـقـوـاـ عـلـىـ هـذـاـ الـدـيـنـ إـنـهـ دـيـنـ اللـهـ، وـلـكـنـ اـقـلـقـوـاـ مـاـ إـذـاـ سـمـحـ اللـهـ لـكـمـ أـوـ لـمـ يـسـمـحـ أـنـ تـكـوـنـوـاـ جـنـودـاـ لـهـ .

إخواننا الكرام، يجبـ أـنـ تـفـكـرـ بـشـكـلـ جـدـيـ أـنـ تـقـدـمـ شـيـئـاـ اللـهـ، أـنـ تـلـقـيـ اللـهـ بـعـلـمـ، وـالـطـرـائقـ إـلـىـ الـخـالـقـ بـعـدـ أـنـفـاسـ الـخـلـائقـ، الـتـيـ رـبـتـ بـنـاتـهـ تـرـبـيـةـ إـسـلـامـيـةـ، وـحـجـبـتـهـمـ تـلـقـيـ اللـهـ وـهـوـ رـاضـيـعـنـهـ، وـهـيـ

في بيتها لم تخرج من بيتها، الأب الذي يرعى أولاده له طريق إلى الجنة وهو في بيته، الأم التي تربى أولادها، والتي ترعى زوجها لها طريق إلى الجنة وهي في بيتها، والذي يعمل عملاً، يقدم للمسلمين بضاعة جيدة بسعر معقول له طريق إلى الجنة، الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلق، الوقت الذي تمضيه في عملك وقت طويل، ما قولك أن ينقلب عملك إلى عبادة؟ ما قولك؟ عملك، حرفتك، إذا نصحت المسلمين، إذا كان عملك في الأصل مشروعًا، وسلكت به الطرق المشروعة، ونويت من خالله كفاية نفسك وأهلك، وخدمة المسلمين، ولم يشغلك هذا العمل عن فريضة، ولا عن واجب ديني، ولا عن عبادة، انقلب عملك عبادة، ما قولك وأنت في عيادتك في عبادة؟ لأنك لا تبتز المرضى ولا توهمهم ، ولا تقول كلاماً ليس صحيحاً، وأنت في مكتب المحاماة أنت في عبادة، وأنت في دكانك أنت في عبادة، وأنت وراء طاولة كموظف أنت في عبادة، يأتي مواطن من مكان بعيد لا تقول له: تعال غداً ، تخدمه ، هذا عبد الله ، فذلك الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلق ، ما كلف الله الناس جميعاً أن يكونوا دعاة إلى الله، كل إنسان من ضمن عمله قد يصل للجنة، إذا أتقن وابتغى به نفع المسلمين.

والله ثمة أخ يعمل في صناعة مواد غذائية للصغار، يقول لي: هذا الطفل الصغير الذي أخذ من أبيه عشر ليرات، أيعقل أن أطعنه بضاعة موادها الأولية فاسدة؟ مع أن المواد الأولية أحياناً ثباع بثلثي قيمتها للمعامل، لأن فسادها وانتهاء صلاحيتها لا يكشف، فالمعامل تشتري هذه المواد فينخفض رأس مالها، ويزداد ربحها، يقول لي هذا الأخ: والله أنا لا أفعل هذا، أشتري أعلى المواد، لأن هذا الصغير أخذ من أبيه عشر ليرات ينبغي أن أطعنه شيئاً ينفعه في صحته، هذا الإنسان يعبد الله، وهو في معمله. إخواننا الكرام، العمل الصالح بين أيديكم جميعاً، الكلمة الصادقة، النصيحة فيها عمل صالح كبير، فيجب الإنسان أن تلقى الله بعمل، ودائماً يقول لي أخي: لا أشعر في الصلاة بالتجلي ، فأقول له :  
 قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْكُمْ يُؤْخَذُ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا(110)

سورة الكهف

أضرب مثلاً مئات المرات، جندي غرّ التحق من يومين بفرقة، وعلى رأس هذه الفرقـة رتبـة عسكـرية عـالية جداً، بحسب النـظام العسكري بكل جـيوش العـالم هذا المـجنـد الغـرّ لا يـستطيع أن يـقابل قـائد هـذه الفـرقـة، ولا فـي الأـحلـام، قبلـه عـشرـات الرـتبـ، إلا أـن هـذا الجنـدي الغـرـ إذا وـجـد ابنـ قـائد هـذه الفـرقـة يـوشـك أـن يـغـرقـ، وأـلـقـي بـنـفـسـهـ وـأـنـقـذـهـ، يـسـطـعـ فيـ الـيـومـ التـالـيـ أـن يـدـخـلـ عـلـيـهـ مـنـ دونـ إـذـنـ، وـأـن يـرـحـبـ بـهـ، وـأـن يـأـتـيـ لـهـ بـضـيـافـةـ، وـأـن يـجـلـسـ إـلـىـ جـنـبـهـ (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا) حينـما تـخـدمـ الإـنـسـانـ، حينـما تـخـفـ عنهـ، حينـما تـحلـ كـرـبـةـ منـ كـرـبـهـ .

**مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهَ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**

رواه مسلم عن أبي هريرة

حينما تعالج مريضاً، حينما تطعم جائعاً، حينما ترعى أرملة، حينما ترعى يتيناً، حينما تتكلم بكلمة الحق، حينما تأمر بالمعروف، حينما تنهى عن المنكر، حينما تربى أولادك فأنت مع الله، لم لا تشعر بالخشوع في الصلاة وأنت في خدمة الخلق؟ بعضهم قال: يا رب، لا يحلو الليل إلا بمناجاتك، ولا يحلو النهار إلا بخدمة عبادة.

والله هؤلاء الذين توجهوا إلى خدمة الخلق هم أسعد الناس، أحياناً تراهم في عينك متألقين، لأنهم في خدمة الخلق، إنسان بلا عمل لا قيمة له إطلاقاً، حجمك عند الله بحجم عملك الصالح.

(أَفَعَيْرَ اللَّهُ أَبْتَغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفْصَلًا وَالَّذِينَ عَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُمْثَرِينَ).

### وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا

وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(115)

سورة الأنعام

هذا القرآن كلمة الله، قال بعض العلماء: هذا القرآن 600 صفحة تقريباً، كل آياته لا تزيد على أن تكون أمراً أو خبراً، وهذا تقسيم علماء البلاغة للكلام، خبر وإنشاء، أنا أخبرك أو أمرك، الإنشاء أمر، الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني والترجي هذا إنشاء، أما الإخبار أن تقول: فلان سافر، فلان حضر، فلان ربح، فلان خسر، هذا القرآن لا يزيد على أن يكون خبراً أو أمراً، فالخبر صدق، والأمر عدل (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا) أي خبر فيه فهو صادق ، لذلك قال الله عز وجل :

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَانِتْ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَتَخِدُونِي وَأَمَّى إِلَهِيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ فُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَمُ الْغُيُوبِ(116)

سورة المائدة

جاءت بصيغة الماضي، يعني هذا كما قال علماء البلاغة من تحقق الواقع .

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفَيْلِ(1)

سورة الفيل

بربكم من رأى هذه الحادثة ؟ ولا واحد، ولا أنا معكم، فكيف يقول الله: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفَيْلِ) معنى ذلك أنه ينبغي أن تأخذ خبر الله وكأنك تراه .  
وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا) أمره عدل .

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِذَكْرٍ مِثْلُ حَظِ الْأُنْثَيْنِ ۝ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلَاثًا مَا تَرَكَ ۝ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۝ وَلَا يَبُوئُهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۝ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرَثَهُ أَبُوهُ أَبْوَاهُ فَلِأُمِّهِ النِّصْفُ ۝ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۝ مِنْ بَعْدٍ وَصِيَّةٌ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دِينٌ ۝ آبَاؤُكُمْ وَآبَاءُوكُمْ لَا تَرُوْنَ أَيْمَهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۝ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ ۝ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (11)

سورة النساء

هذا هو العدل، المرأة تأخذ ولا تعطي، بينما الرجل يعطي ولا يأخذ، لذلك الإله العظيم شرع لنا أنه في نظام المواريث: (لِذَكْرٍ مِثْلُ حَظِ الْأُنْثَيْنِ).

هناك معنى آخر: أخطر شيء في حياتنا علاقتنا مع ربنا، بعض العلماء قال: هذه العلاقة مع الله عز وجل تنتظمها كلمتان، يعني يا عبادي منكم الصدق، ومني العدل، تتفاوتون عندي بصدقكم، أما أنا أعدل بينكم جميعاً، منكم الصدق ومني العدل، لذلك قال تعالى :

يَا إِيَّاهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَاوَرُ فُؤُوا ۝ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَلْكُمْ ۝ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَبِيرٌ (13)

سورة الحجرات

سيدنا سعد ابن أبي وقاص، هو الصحابي الوحيد الذي افتداه النبي بأبيه وأمه، قال :  
أرم سعد، فداك أبي وأمي

آخره مسلم عن علي

أن يفتديك النبي بأبيه وأمه شيء كبير جداً، أما الشيء الذي يلفت النظر أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له مرة بعد وفاة رسول الله: " يا سعد، لا يغرنك أنك حال رسول الله، إياك أن تتغير بهذا، فالخلق كلهم عند الله سواسية، ليس بينهم وبينه قرابة إلا طاعتهم له .

كن ابن من شئت واكتسب أديباً يغريك محموده عن النسب

\* \* \*

يعني إنسان بالتعدين في الطبقة الدنيا الاجتماعية، بالدرجة السفلية من السلم الاجتماعي، إذا كان مستقيماً على أمر الله فقلامة ظفره تساوي مليون رجل، هذا هو الدين، يعني إنسان عبد حبشي بمقاييس الجاهلية في الدرجة الدنيا في المجتمع القرشي، أن يأتي إلى المدينة، فيخرج عمر لاستقباله! إنه سيدنا بلال، يخرج عمر لاستقباله، ويقول عن سيدنا الصديق: هو سيدنا، وأعتق سيدنا، عبد حبشي يقول عنه عملاق الإسلام: " هو سيدنا، عن الصديق وأعتق سيدنا " لما افتداه سيدنا الصديق من سيده ، قال له سيده: والله لو دفعت به درهماً لبعنكه، فقال له: والله لو طلبت به مئة ألف لاعطيتكمها، ووضع يده تحت إبطه، وقال له: هذا أخي حقاً، هذا الإسلام، ليس في الإسلام طبقية .

إخواننا الكرام، أقول هذه لكم كلمة: لا يُضاف على كلمة (مؤمن) ولا كلمة، مؤمن فقط، أي كلمة أخرى عنعنات الجاهلية، أية كلمة أخرى عصبية، ومن مات على عصبية مات إلى شأن لا يرضي الله عز وجل .

**وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبَيَّةٍ ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبَيَّةٍ**

رواه أبو داود عن جبير بن مطعم وهو ضعيف

فذلك أيها الإخوة (وَتَمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ).

**والحمد لله رب العالمين.**